

# الجوهر الإلهي الداخلي: استعادة الشرارة المقدسة من رماد الإمبراطورية

عبر آلاف السنين، سعت البشرية لفهم مكانها داخل الخليقة. من ضفاف النيل إلى جبال الأنديز، من مكة إلى أثينا، اعترفت تقاليد روحية وفلسفية لا حصر لها بحقيقة عميقة: يقيم داخل كل إنسان جوهر إلهي—شرارة مقدسة تميلنا نحو الرحمة، وعدم العنف، والانسجام مع العالم الحي. هذا النور الداخلي، سواء سمي فطرة، أو أمان، أو لوغوس، أو طبيعة بودا، هو الخيط الذي يوحد الأديان والفلسفيات وحكمة الشعوب الأصلية. ومع ذلك، في العصر الحديث، غطت هذه الحقيقة بأنظمة السيطرة والجشع والاستغلال—أنظمة ابتعدت عن الجوهر الإلهي لتعبد الربح والسلطة.

## الشرارة الإلهية في التقاليد الروحية المعاصرة

في أديان العالم الحية، ليست الشرارة الإلهية مجرد استعارة—إنها واقع أخلاقي يطالب بالعدالة والرحمة والإدارة.

في الإسلام، يعلن القرآن أن كل إنسان يولد على الفطرة (30:30)—طبيعة أولية متناغمة مع الحق والرحمة وعباده الخالق. ترسخ هذه الفطرة الخلافة، واجب الإدارة: حماية الحياة، وتكريم الخليقة، ومقاومة الفساد. عندما يقدم المسلمون الزكاة، ويحمون من القسوة، ويدافعون عن المظلومين، فهم لا يمارسون مجرد صدقة—بل يتصرفون كحراس للأمانة الإلهية. في عالم يدفعه الربح والسيطرة، تصبح الفطرة مبدأ ثوريًا: مقاومة جميع الأنظمة التي تستغل الطبيعة أو الحيوانات أو البشرية.

الهندوسية تكشف عن هذه الحقيقة نفسها في الأثمان، الذات الإلهية داخل كل كائن، غير منفصلة عن بrahaman، الواقع الأسمى. التحية ناماستي—“أحنني للإلهي فيك”—هي اعتراف روحي بالإلهية المشتركة. أهيمنا، مبدأ عدم العنف، ينبع من هذا الفهم: إيماء كائن آخر هو إيماء النفس. في ثقافة تقيس القيمة بالاستهلاك والفتح، يدعو الأثمان إلى الاحترام المقدس، إلى رؤية جميع أشكال الحياة كتعبيرات عن المصدر الإلهي نفسه.

اليهودية تعلن أن البشرية خلقت بتسلیم إلوهیم—على صورة الله (التكوين 1:26-27). لذا، تمتلك كل حياة بشرية كرامة إلهية. تعلم المشناه: “من يدمر حياة واحدة يدمر عالماً كاملاً.” هذا التأكيد الجذري على القيمة المقدسة يطالب بمعارضة أي نظام—استعماري، سياسي، أو اقتصادي—يقلل من قيمة الحياة من أجل الربح أو السلطة.

المسيحية تعلم أن النور الإلهي، اللوغوس، “ينير كل من يأتي إلى العالم” (يوحنا 1:9). حب الجار كنفسك (متى 22:39) ليس مثالاً سلبياً—بل أمر أخلاقي لمواجهة القسوة والظلم أينما ظهرا. أصوات الإيمان الأكثر جذرية، من يسوع إلى فرنسيس الأسيزي، اعترفت بالحيوانات والأنهار وحتى الريح كأقارب. ومع ذلك، اليوم، غالباً ما تبرر المجتمعات التي تسمى نفسها مسيحية الحرب والاستغلال والدمار البيئي—النقيض التام لتعليم المسيح.

في البوذية، تعلم عقيدة طبيعة بودا أن جميع الكائنات تحمل إمكانية التنوير. الرحمة وعدم العنف ليست فضائل ملائمة—بل ضرورات كونية. إيماء الحياة يغطي استيقاظنا الخاص. البوذيساتفا، الذي يؤخر تحرره الشخصي لمساعدة جميع الكائنات، يجسد هذه الرحمة الإلهية بالكامل.

في تقاليد الويكا والوثنية، تشرق الشرارة الإلهية من خلال الأرض الحية نفسها. أمر الريد—“إن لم يؤذ أحداً، افعل ما تشاء”—يعبر عن رؤية أخلاقية تربط بين الحرية والمسؤولية. احترام الوثنيين للعناصر، والقمر والفصول، يحافظ على حكمة بيئية قديمة أوشكت الحضارة الحديثة على إطفائها.

لكن بينما تدعو هذه التقاليد البشرية نحو الانسجام، ابتعد العالم الحديث—خاصة الغرب الصناعي الاستعماري. أصبح السعي وراء الربح ديناً للتدنيس. تُذبح الغابات، تُسمم المحيطات، تُعذب الحيوانات في المصانع، وتُشن الحروب باسم المكاسب الاقتصادية أو الجيوسياسية. دُفنت الجوهر الإلهي تحت أصنام المادية والإمبراطورية.

لا مكان أوضح لهذا من غزة، حيث تُقتلع بساتين الزيتون—رموز السلام والرزق الإلهي—وتسحق مجتمعات بأكملها تحت آلة الاحتلال. هنا، يكشف صمت العالم عن فقدان جماعي للشرارة المقدسة. اضطهاد الشعب الفلسطيني، الذي يتم بتوافق القوى الغربية، ليس جريمة سياسية فحسب—بل كارثة روحية، دليل على ابتعاد البشرية عن طبيعتها الإلهية.

## التقاليد القديمة والأصلية: العيش في توازن مقدس

قبل صعود الإمبراطوريات، عاشت أقدم حضارات البشرية معترفة بالنفس الإلهي الذي يحيي كل الحياة. كانت أسطoirها وطقوسها وهيأكلها الاجتماعية منسوجة حول التوازن الكوني والعدالة والرحمة.

في الفكر السومري والأكادي، شُكلت البشرية من نفس إنليل الإلهي وأوكلت بحفظ مي—القوانين المقدسة التي تحكم الكون والمجتمع. انتهاك هذه المبادئ لم يكن مجرد اضطراب اجتماعي بل فساد روحي.

كونيات البابليين في إنوما إيليش رأت البشر شركاء في الحفاظ على الانسجام الكوني. كانت حياتهم الأخلاقية متشابكة مع النظام الإلهي، مع التركيز على رعاية الضعفاء والتوافق مع دورات الطبيعة.

في مصر، كان مبدأ ماعت—الحق والعدالة والتوازن—نبض الحضارة. العيش بظلم كان يفكك الكون. حُكم الفراعنة ليس بقوتهم بل بحفظهم ماعت. إيقاعات النيل، فن المعابد، وطقوس الزراعة كلها عكست هذه البيئة الأخلاقية.

اعتبرت الديانة والفلسفة اليونانية الروح إلهية وأبدية، نقاوتها محافظت عليه بالفضيلة والاعتدال. احترام الرومان لنومن، الوجود الإلهي في كل شيء، رعى بيئات: الواجب والامتنان والانسجام مع الآلهة والطبيعة.

بين النورس، عبر مفهوم ويرد عن إحساس مقدس بالقدر والترابط—الحياة كشبكة من النتائج الأخلاقية. التصرف بغير شرف أو استغلال الطبيعة كان يفكك خيوط الوجود.

لكن لا مكان جسدت فيه هذه الوعي بالترابط المقدس أكثر من بين الشعوب الأصلية. فهم الألغونكوبين لمانينتو رأى الروح في كل كائن—حجر، نهر، طائر، أو ريح. وصفت كونيات المايا الحياة كهدية مستدامة بالتبادل. أنتج احترام الإنكا لباتشاما (الأم الأرض) أنظمة إدارة بيئية متقدمة. يكرم الشينتو في اليابان كامي، الأرواح الإلهية داخل الطبيعة؛ يعلم التاوية في الصين وو وي، التوافق السلس مع الطاو.

شاركت هذه التقاليد ليس فقط احترام الحياة، بل أيضاً علاقة جذرياً مختلفة بالموت. لم يخش الموت—بل فهم. بالنسبة لهم، كان الموت عودة إلى الكل المقدس، استمراراً للعلاقة مع الأرض والأسلاف والإلهي. العيش بحق كان يموت بسلام، مع العلم بأنه لم يخن نظام الحياة.

هذا يقف في تناقض حاد مع العقلية الغريبة الحديثة، حيث يخشى الموت، يتجنب، يُعقم. لماذا؟ لأن الكثيرين يعرفون في أعماقهم أنهم عاشوا بخيانة للمقدس. حضارة تدمر الغابات، تعذب الحيوانات، وتشن حروبًا لا نهاية لها لا يمكنها مواجهة الموت بسلام. خوفها ليس متجرداً في الغموض—بل في الذنب. في مكان ما داخل، حتى العقل الأكثر علمانية يشعر بالحساب الإلهي. خوف الموت هو خوف الحكم—ليس من فوق، بل من داخل.

## التقاليد الفلسفية: العقل كنور مقدس

حتى التقاليد العقلانية للفلسفة، غالباً ما تفصل عن الدين، تتردد صدى حقيقة الشرارة الإلهية. تحدث سقراط عن دايمونيون الخاص به—صوت داخلي إلهي يرشده نحو العدالة. علم أفلاطون أن منزل الروح الحقيقي هو عالم الخير الأبدى، وأن المعرفة والفضيلة أعمال تذكر. وجد أرسطو ازدهار الإنسان (يودايمونيا) في ممارسة العقل والصداقة والتوازن مع الطبيعة بانسجام.

الرواقية، بإيمانها باللوغوس—النظام العقلاني الإلهي المنتشر في الكون—قدمت أخلاقيات روحية للقبول والفضيلة والرحمة. العيش خلافاً للطبيعة كان العيش خلافاً للعقل نفسه.

استمرت الكونفوشيوسية وفلسفة التنوير في هذا الخط: كونفوشيوس من خلال دين (الإنسانية) وkanط من خلال القانون الأخلاقي داخل. ومع ذلك، حتى هذه التقاليد، عند تجريدها من تواضعها الروحي، استُخدمت من قبل الإمبراطوريات الاستعمارية لتبرير السيطرة تحت ستار “الحضارة”. العقل، عند فصله عن الاحترام، يصبح أداة للفتح.

## النتائج الثقافية لفقدان الشرارة الإلهية

الانحدار الروحي للعالم الحديث ليس لغزاً—إنه النتيجة المنطقية لحضارة استبدلت النظام الإلهي بحساب اقتصادي. حيث سعى القانون القديم إلى الانسجام، يرسخ القانون الحديث الملكية. حيث كرم الطقس الأصلي التبادل، يفرض التجارة الحديثة الاستخراج. النتيجة دمار كوكبي: غابات مدمرة، محيطات مختنقة، و مليارات الكائنات الواعية مذبوحة للراحة.

الإمبراطوريات التي ببرت توسعها ذات يوم كمهمة إلهية تستمر في العنف من خلال الأسواق والجيوش. غزة، التي كانت جزءاً من مهد النبوة في العالم، الآن مدمرة تحت نظر الأمم التي تسمى نفسها مسيحية أو ديمقراطية. تتلاأ الشرارة الإلهية وسط دخان الطائرات بدون طيار وصراخات الأطفال. تدنيس شجرة الزيتون—رمز السلام والصمود—هو تدنيس المقدس نفسه.

وخلف كل ذلك يلوح رعب الموت—رعب ولد ليس من المجهول، بل من غير المكفر عنه. عالم يدمر الخلية يعرف أنه أذنب. خوفه ليس ميتافيزيقياً—بل أخلاقياً.

## التقارب الأخلاقي: الإدارة والرحمة كأعمال مقاومة

تتقارب جميع التقاليد على أمرتين مقدستين: الإدارة والرحمة. أن تكون مديراً هو حراسة المقدس؛ أن تكون رحيمًا هو التصرف كسفيره. هذه ليست فضائل ضعف بل أسلحة الإلهي ضد الإمبراطورية.

خلافة الإسلام، أهيمنا الهندوسية، بتسليم إلهيم اليهودية، أمر المحبة المسيحية، كارونا (الرحمة) البوذية، ريد الويكا، مي السومرية، ماعت المصرية، مانيتو الأغونكوبين، تشي التاوية—كلها تدعونا إلى التمرد نفسه ضد القسوة والجشع.

استعادة الإدراة هي مواجهة القوى التي تربح من الموت. ممارسة الرحمة هي رفض التواطؤ في الأنظمة التي تدمر الحياة. كل عمل لطف، كل حماية لغابة، كل رفض لإنسانية الآخر هو عمل عصيّان روحي.

## الشرارة الإلهية والموت: ذكرى الروح

لا ترشد الشرارة الإلهية الحياة فحسب—بل تعددنا للموت. في تقاليد العالم المقدسة، التنوير ليس هروباً بل إدراكاً: الجنّة، موكتشا، نيرفانا، السماء، فالهلا، تلالوكان، سمرلاند، أو سلام الرواقي ليست عوالم بعيدة بل حالات روح مستحقة من خلال عدم العنف والرحمة والانسجام. الموت، بالنسبة لمن يكرّم الشرارة، ليس انقطاعاً—بل عودة إلى المنزل، عودة إلى الكل المقدس.

مزارع فلسطيني، يعيد زرع شجرة زيتونه وسط الركام، يسير هذا الطريق. نضاله هو عدالة **الفطرة**، إلهية الأتمان، طاقة **تيوتل**، تبادل **مانيتو**—نذر بوديساتفا حي. لا يخاف الموت؛ بل يتتجاوزه.

لكن حيث تُخان الشرارة—حيث تحرق الغابات، تصرخ الحيوانات في الأقفاص، ويُدفن الأطفال تحت القنابل—يصبح الموت رعباً. ليس لأنه مجهول، بل لأنّه معروف. الروح، في أعماق فطرتها، تتذكر. تعرف أن بستان الزيتون كان مقدساً. تعرف أن ضربة الطائرة بدون طيار كانت كفراً.

ال усили للتنوير هو العيش بدون خوف من الموت. خوف الموت هو الاعتراف بأنك لم تعيش أبداً.

## الخاتمة: استعادة نار الإلهي

الجوهر الإلهي—**الفطرة**، الأتمان، اللوغوس، **تيوتل**، كامي، بتسليم **إلوهيم**—ليس فكرة مجردة بل حضور الحق الحي داخل جميع الكائنات. استعادته هي مقاومة كل إمبراطورية، كل إيديولوجيا، كل اقتصاد ينكر قدسيّة الحياة.

لا تزال الشعوب الأصلية تعيش هذه الحقيقة من خلال البساطة والتبادل. يستدعي المسلمونها من خلال الإدراة والعدالة. البوذيون والهندوس والسيحيون واليهود والوثنيون يحملون شظايا من النور نفسه. إنه النور المدفون الآن تحت ركام غزة، رماد الغابات، وصمت من يعرفون أفضل لكنهم لا يفعلون شيئاً.

تحترق الشرارة الإلهية أكثر سطوعاً في المقاومة: في الأم التي تحمي طفلاً، في المزارع الذي يعيد زرع بستانه الزيتوني، في المتظاهر الواقف أمام الآلة. استعادة العالم هي تذكر ما حلّنا له: الرحمة، عدم العنف، والانسجام. أي شيء أقل هو كفر ضد الخليقة.

وعندما يأتي الموت—كما يجب—لا يجب أن يجدنا خائفين، بل مستعدّين. مستعدّين لمواجهة ليس العقاب، بل الحقيقة. لقول: **كرمت الشرارة الإلهية**. لم أدمّر، حمّيت. لم أستغل، أحبّيت.

هذا معنى الإيمان. هذا الطريق العودة إلى الله.